كتب نظام الملك كتاب السياسة (سياستنامه) قبل موته بسنة واحدة ، وضمنه علمه وتجاربه وآراءه فى سياسة الملك وترتيب الدولة ، وإنصاف الرعية ، وقسمه إلى خمسين فصلاً .

وللكتاب مقدمة كتبها ناسخ الخزانة السلطانية يبين فيها سبب تأليف الكتاب فيما يأتى :

« أمر السلطان السعيد أبو الفتح ملكشاه ابن محمد أمين أمير المؤمنين أنار الله برهانه ، سنة أربع وثمانين وأربعمائة بعض الكبراء والشيوخ والعلماء أن تفكّروا فى أحوال المملكة وانظروا ماذا من السيئات فى عهدنا ، وماذا خفى علينا ، وماذا فعله السلاطين السابقون ولم نفعله ، وأعلمونا به . وكذلك اكتبوا ما تعرفون من سنن الملوك السالفين مما يتعلق بدولة السلاجقة وملكهم ، وأعرضوه علينا لنتأمّله ونأمر بعدُ أن يسير كل عمل دينى ودنيوى على قاعدته ، ويوضع كل شيء فى موضعه ، وننهى عما لا يُستحسن . فإن الله وهبنا الدنيا وأتم نعمته علينا وقهر أعداءنا فلا ينبغى أن يكون أمر فى مملكتنا ناقصاً أو يذهب عمل على غير وجهه أو يخفى علينا شيء .

« أمر بهذا نظام الملك ، وتاج الملك ، ومجد الملك وطائفة أمثالهم ، فكتب كل ما تيسر له فى هذا الشأن وعرضه على السلطان فلم يعجبه إلا ما كتب نظام الملك فقال : كُتبت هذه الفصول كما أردت فليس فى نفسى عليها مزيد . وقد اتخذت هذا الكتاب إمامى وسأعمل به . »

ويقول نظام الملك فى خاتمة الكتاب : « هذا كتاب السياسة . أمر سلطان العالم خادمه أن يكتب فى هذا الموضوع فامتثل أمره . كتب تسعة وثلاثين فصلاً على عجل ورفعها إلى السدة العالية فلقيت قبولاً . وكانت مختصرة فزدت عليها ، وأضفت إلى كل فصل ما يناسبه ، وبيّنتها بلغة واضحة . وقد سلمته إلى ناسخ الخزانة السلطانية محمد المغربى سنة أربع وثمانين وأربعمائة ونحن على عزيمة السفر إلى بغداد ، وأمرته أن ينسخه بخط جميل ، فإذا لم يتح لى الرجوع من هذه السفرة قدمه إلى السلطان . »

وسأتكلم على الكتاب وأترجم فصوله فى المقالات الآتية إن شاء الله .

عبد الوهاب عزام

الجامعيون يحتربون

للدكتور زكى مبارك

كان الأسبوع الماضى من الأسابيع الدامية فى حياة الجامعة المصرية ، وكان رجعة إلى معارك الصعايدة والبحاروة فى الأزهر الشريف ، فما هى الصلات بين القديم والجديد من هذه المناوشات التى تقع فى المعاهد العلمية ؟

إن النضال بين الصعايدة والبحاروة من الأزهريين كان رجعة لأحقاد عرفتها مصر منذ عهد الفراعين بين سكان الشمال وسكان الجنوب ، وكان لهذا النضال مواسم يذكرها من شهد الحياة الأزهرية قبل أن تخضع للنظام الحديث

فما هو سبب النضال بين كلية الآداب وسائر الكليات ؟

وما الذى قضى بأن يكون للجامعيين تاريخ فى العداوة والبغضاء ؟

لقد كانت كلية الآداب منذ نشأتها محفوفة بالرعاية والعطف من جميع المعاهد العالية ، فما الذي جد من الشؤون حتى تصبح هذه الكلية المحبوبة هدفاً للعداوات ، وحتى تشن عليها الغارة بلا ترفق ولا استبقاء ؟

ما الذى جد فى دنيا القلوب حتى تثور الحرب الدموية بين طلبة الآداب وطلبة الحقوق ؟

وكيف جاز أن يصبح الحرم الجامعى مجروح الهيبة والجلال وفيه تمثال الشهداء فى سبيل الوطنية لا فى سبيل المنافع الشخصية ؟

كيف جاز أن يحترب الرفاق فى بقعة مسوّرة بالأزهار والرياحين فى مطلع الربيع ؟

وكيف نسى أولئك الشبان أن من الجريمة أن يدنسوا الحرم الجامعى بالأحقاد الشخصية ، وهو بفضل العلم لا يقل قدسية عن المحاريب ؟.

كيف نسى أولئك الشبان نعمة الله عليهم وهم يغدون ويروحون فى رياض تذكّر بأرواح الفراديس ؟

إن الجامعة لها موقع قليل الأمثال فى الشرق ، وهى تنتظر من أبنائها أن يكونوا جذوة روحية تضيء أقطار الشرق ، فبأى

وجه تلقى الناس إذا صح لأبنائها أن يحتربوا ويقتتلوا بأسلحة ينكرها العلماء ؟

إن أولئك الشبان لا يعرفون أن هناك مسامع تستريح لأن تسمع فيهم قالة السوء ، ولا يدركون أن هـذا النوع من المناوشات ينض من هيبتهم العلميـة ، ولا يذكرون أن سيرتهم قد تصبح قدوة لطلبة المعاهد العالية فى الشرق

ولـكن ما هى أسـباب المعركة بين كلية الآداب وكلية الحقوق ؟

السبب فى جملته يرجع إلى كتابين يدرسان فى كلية الآداب وفيهما فقرات تمس العقيدة الإسلامية

ولـكن فات خصوم كلية الآداب أن من المستحيل أن يقع ذلك عن عمـد : فعميد الـكلية يعرف أن فى مصر تيارات دينية وسياسـية ؛ وليس من مصلحته أن يتعرض لـكاره من جانب رجال السياسة أو رجال الدين . ومتى صح أن سوء النية غير موجود فمن التعسف أن يقال إن كلية الآداب تحارب العقيدة الاسلامية

أتريدون الحق أيها الجامعيون؟

لقـد ضيعتم على أنفسكم فرصة عقلية لا تتاح فى كل يوم ، وهـذه الفرصة بدت طلائعها بحديث عميـد كلية الآداب وحديث شيخ الأزهر وشيخ كلية أصول الدين

وكان يجب اغتنام هـذه الفرصة : كان يجب أن نرى المصاولات العقلية بين الأزهر والجامعة المصرية . كان يجب على الأقل أن يكون الحـكم فى هذه القضية إلى مناظرة علنية تقوم فى قاعة الحفلات تحت رياسة مدير الجامعة المصرية

ولـكنكم أسرعتم ففصلتم فى القضية بالأيدى لا بالعقول .

ثقوا أيها الجامعيون بأن الحركة الفكرية فى حاجة إلى وقود ، وهذه المحرجات التى تثور من حين إلى حين هى أعظم باعث ليقظة العقول ، وأعداء هذه البدوات الفكرية هم من جيش الموت ، لو تعلمون .

أقول هذا وأنا أعرف أن المشكلة قُضِّتْ ولم يبقَ إلا حكم التاريخ .

ولـكن يؤذينى أن يكون للجامعة فى حياة العقل تاريخ يشبه تاريخ العنف فى أيام الظلمات .

من وحى الطريق

إلى من الذين يعتقدون أن فى مصر اليوم نهضة ملحوظة فى الأدب والفن ، وأن الأدباء والقراء يزدادون يوماً بعد يوم. على أن الذى يسترعى الالتفات ويدعو إلى القلق هو أن نتاج الذهن لم يبلغ بعد فى قيمته المادية وأثره الاجتماعى المستوى المطلوب . لماذا ؟ لأن هنالك عنصراً آخر فى هذا الشأن مازال مفقوداً . إن قوة الأدب والفن فى أمة لا ترتكز فقط على طائفتى الأدباء والقراء . هنالك طائفة ثالثة عليها يقع قسط كبير من عبء العمل ولها ينسب بعض الفضل فى إذاعة نتاج الذهن وإيصاله إلى متناول كل يد ، وإحداث الضجيج حوله ، والإعلان عن خطره . أولئك هم الوسطاء والتجار والناشرون . ففى فرنسا مثلاً ما يكاد يظهر كتاب جديد فى باريس اليوم حتى تجده فى صباح الغد معروضاً فى أصغر قرية من قرى الريف الفرنسى . ووسائلهم فى ذلك بسيطة أوجه إليها نظر تجار كتبنا الكسالى المتواكلين . إنهم يعلمون أن الكتاب لا يطلب عادة إلا فى المحطة عند السفر ، إذ هو خير أنيس فى وحدة القطار . فتراهم قد جعلوا فى كل محطة صغيرة أو كبيرة عربة يد صغيرة كتلك التى توضع عليها عندنا « البسطة » والفطائر والمأكولات . يعرضون عليها كل مستحدث من الكتب ، ويعهدون بها إلى صبى يمر بها على الرصيف أمام كل قطار مار . هنا فى مصر توجد فكرة عرض الكتب والمجلات فى المحطات ، ولكن الذى يؤسف له حقاً هو أن مصلحة السكة الحديدية المصرية قد منحت هذا الامتياز لرجل روى لا يعرض غير الكتب والصحف الافرنجية ؛ لأن هذه المصلحة لا تنظر إلا إلى راحة المسافر الأجنبى والسائح الافرنجى ؛ أما نشر ثقافتنا فى أنحاء بلادنا على يدها فهو مشروع لم تفكر بعد فيه .

لذلك سيظل الأدب والفكر وكل ما يتعلق بالتثقيف الذهنى والروحى فى بلدنا محصوراً فى محيط محدود .

توفيق الحكيم